مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 01، مارس 2022، صص: 259-272

تاريخ الاستلام(2021/11/29)تاريخ القبول (2022/02/20)تاريخ النشر (2022/03/30)

آليات التّحويل و أثرها في تشكيل دلالة التّراكيب القرآنية

Conversion Mechanisms and their Impact on the Quranic Meaning Structure

فارز فاطيمة

جامعة ابن خلدون ـ تيارت(الجزائر)،farez1980@gmail.com

ملخص:

لا تقف غاية البحث النحوي عند تسجيل الضوابط وإحكام القواعد، بل يتجاوز ذلك إلى النظر في كيفيات التركيب التي يحدِثها البناء اللّغوي الخاص، لذلك فإن الركون إلى ما يسمى بالتحويل يعدُّ أداة ضرورية من أدوات التعبير التي تُميّزهُ وتقتضيه. وعليه؛ فإنّ هذه المحاولة تنبني على إدراك العلاقة بين قوالب الصّنعة النّحوية ومقتضيات المعنى، فتطرح مفهوم التحويل كنمط لغوي خاص، يستوعب المعنى وفق إجراءات التحويل التركيبي الممكنة، فهل مجرد احتواء قواعد التحويل يعطي النّص طابعًا تعبيريًا وظيفيًا في سياقات معيّنة؟

الكلمات المفتاحية: التّركيب، التّحويل، التّرتيب، الإقحام، الحذف، المخالفة.

Summary:

The goal of grammatical research does not stop at recording the controls and tightening the rules, but rather it goes beyond that to looking at the modalities of the structure caused by the special linguistic structure. Therefore, reliance on the so-called conversion is a necessary tool of expression that distinguishes and requires it. Accordingly, this attempt is based on an awareness of the relationship between grammatical forms of work and the requirements of meaning. It approaches the concept of conversion as a special linguistic pattern. It accommodates the meaning according to possible syntactic transformation procedures. So does mere

المؤلف المرسل: فارز فاطيمة **الإيميل:** farez1980@gmail.com

containing of transformational rules give the text an expressive and functional character in certain contexts؟
Keywords: Synthesis, diversion, arrangement, intercalation, deletion, violation/ offense

1-مقدّمة:

تنتج القواعد على كثرتها التركيب الذي يقوم عليه التحليل اللغوي، لذلك كان من الضروري معرفة البنية الأساسية التي تمثله وتميزه في سياقات متباينة، فليس التركيب مجرد رصفٍ عشوائي للكلمات، وإنّما هو حاصل ذلكَ التفاعل من العلاقات النحوية والدّلالية والسياقية. والذي يظهر على التركيب أيضا ما يؤديه من وظيفة بلاغية أو دلالية تعكس تحولات البنية القائمة على افتراض أصل لها، حيث يفسّر ذلك الافتراض حقيقة ما عليه صورة التركيب الظاهر، ولا يحدث ذلك تعارضا بين أحكام الصنعة ومقتضيات المعنى.

وغالبا ما تحيل سياقات التركيب الافتراضي -وفق قوانين التحويل- إلى معانٍ دقيقة لا تتحدّدُ بإمكانات النحو فقط، بل ترتبط بحركة التحويل نفسه التي يتم بواسطتها الوصف والتفسير معا. وقد أظهر الخطاب القرآني خصوصيته الفنية في البناء اللغوي، فراعى الصلة الوثيقة بين أحوال التركيب ومقتضيات المعنى في أنحاء الخطاب، لما في ذلك من أهمية بالغة تحيل إلى تشكيل نسق دلالي متفرد له، كما أن خصوصية أدائه تثير دهشة تهزّ العقول، لذلك نتساءل عن أهميّة هذا الاتّساع في الخطاب القرآني و التّي مؤداها الوصول إلى المعاني، وبهذا فهل التحويل تطبيق آلي للتراكيب؟ وهل القول به ما هو إلا معالجة لأشكال القصور النّحوي؟ ما هي حدود التطبيق لهذه المقولة الذهنية في الخطاب القرآني؟

2-استراتيجية التّحويل: بحث في المفهوم: لقد أنتج الدّرس النّحوي منذ نشأته تراكماً في المصطلحات تبعًا لتطوره وتلقيه، وليس التحويل أو النقل إلّا واحدا منها بما أملاه من تناول خاص عند علماء التراث. وهو مصطلح يشير -في جوهره- إلى شكل ووضع القواعد التحويلية في تركيب ما، وبشكل لا يسيء إلى الصناعة أو إلى المعنى، لذلك فإنّ نظام التركيب في العربية يسمح بوجود بنيتين: البنية العميقة والبنية السطحية، حيث تكون الأولى أساس الثانية.

فالتحويل في اصطلاح النّحاة هو "نقل صيغة إلى أخرى، أو نقل تركيب إلى آخر، حيث تعدّ الصيغة المنقول عنها أصلا، والصيغة المنقول إليها فرعا عن الصيغة الأولى"[1].

ومن ثمّ، فإنّ التحويل استراتيجية تركيبية تحظى بكثير من المرونة والسعة، ومحكومة بقواعد وعلاقات نحوية خاصة، إنّها بهذا "عملية تغيير تركيب لغوي إلى آخر بتطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر"[2]، ومنه يستطيع التفسير النحوي أن يتخذ لنفسه سبيلا لفهم أبنية التراكيب المنطوقة منها والثاوية.

وعليه؛ فإنّ العلاقة بين التركيب المنطوق و البنية العميقة تشبه ذلك التفاعل الكيماوي بين مادتين، فالبنية العميقة تعطي" المعنى الأساسي للجملة، وهذا التركيب هو تركيب مجردّ وفرضيّ، يتوقف عليه معنى الجملة وتركيبها بعد أن تصبح تركيباً ظاهرياً، ويكون التركيب الظّاهري حقيقة فيزيائية ملموسة"[3].

وفهم المصطلح بهذه الدلالة يمكّننا من أن نفهم ما تعرّض له النحاة في محاولتهم التوفيق بين ظاهر النّص ودلالته، أو بين قواعد الصناعة ومقتضيات المعنى، يقول الفراء عن قوله تعالى: ﴿**وَ آتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**﴾[4]، و"ذلك أنّ المعنى، والله أعلم، فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء، فنُقِل الفعل من الأنفس إليهن فخرجت النفس مفسّرة، كما قالوا: أنت حسنٌ وجهًا، والفعل في الأصل للوجه، فلمّا حوّل إلى صاحب الوجه خرج الوجه مفسّراً لموقع الفعل ولذلك وحد النفس"[5].

فالفراء يفترض للتركيب أصلا وهو: فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء منه، ثم تحول هذا التركيب إلى تركيب آخر منطوق، وهو: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا.

فهذا الافتراض من الفرّاء، ليس إلا قراءة للخطاب القرآني، وما يقتضيه من معنى في سياق تفسيره، وقد عبّر عن ذلك بالتحويل أو الردّ إلى الأصل المقدّر، ممّا يؤكد شيوع هذه الفكرة في التراث النّحوي، وأصالتها في كتب التفسير على سعة.

3-أنماط التّحويل بين التّقدير الصّناعي وخصوبة المعاني:

تعد مقولة النقل/التحويل من أوضح المقولات الذهنية التي قال بها النحاة، ومؤداها أنّ هناك آداءات خاصة تتطلب قدرا من التأمل والفهم بخلاف الأداءات الجاهزة التي لا يصحبها تحويل أو عدول أو نقل ...، وليست الأنماط المختلفة إلا مظاهر خاصة تكون عليها البنيات مناط التحليل من حذف، وتقديم وإنابة وإقحام وتضمين وتعريض وزيادة وفصل و توهّم، واستغناء ...

3-1-التّحويل الكميّ:

أ-الحذف: يعدّ الحذف من الظواهر التركيبية الشائعة في اللغة العربية، فهو ظاهرة تناسب النظر النحوي في تحليله لتراكيب التحويل وما تقتضيه الصنعة من تقديرات تبعا لنوع المحذوفات في مقامات مخصوصة، ومن ثمّ فإنّ الحذف على قسمين[6]:

حذف دلالي، وحذف صناعي، والمقصود بالأول الحذف الذي يلجأ إليه النحوي لعلة دلالية، أمّا الثاني فهو الحذف الذي تقتضيه ضرورات الصناعة النحوية، فالفرق واضح بين حذف ما يقال به من أجل المعنى مع استقامة النّص نحويا، وبين مالا يعدّ النّص بدونه مستقيما من الناحية التركيبية.

وبهذا، يمكن أن يستمدّ الحذف قيمته التعبيرية ووظيفته الدلالية من سياقات تعيد إنتاج المعنى من دون إخلال على القاعدة، مّما "يجعله نسقاً خاصاً يعتمد العناصر السياقية المقامية أكثر من العدولات الأخرى"[7].

ولا ينفك هذا النوع من التحويل عن القرآن الكريم، ولاسيما في ارتباط مقصديته بتقديرات معيّنة، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُوَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[8]، حيث أسند الفعل إلى لفظ الجلالة (الله) في الظاهر، وإن كان الباطن يقتضي غير ذلك ،والمراد: هل ينظرون إلاّ أنْ يأتيهم أمر الله أو عذابه[9].

والدليل الذي يوجب هذا التقدير ظهور المحذوف في قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُرَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[10].

يتحصّل من هذا ،أنّ الحذف في هذه الآية ينمازُ بغياب الدّال عن ظاهر البنية، لذلك فإنّ الطريقة "التي يقدّمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي التي يقدّمها النحو العربي"[11]، بعيدا عن أشكال التعسف والتمحّل، وهذا أوضح في لغة القرآن الكريم، الذي يعتمد "على ذكاء قارئه، فيحذف من الجمل ما يستطيع القارئ أن يدركه، لأنّ السياق يستلزمه ويستدعيه"[12].

ومن مواضع التحويل بطريق الحذف توسعا في التراكيب قوله تعالى: ﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾[13]، نجد أنّ سياق الآية يقتضي تقديرا اسميا يُستغنى عن ذكره، وهو معلوم،

على نحو: ذوقوا العذاب[14]، وهذا ما يستساغ إسقاطه لكثرة تردّده وعلمه في ذهن المخاطب، لذلك فإنّ الدلالة "على المحذوف يتكفّل بها التركيب المنطوق، وانتماؤه إلى نموذج معيَّن هو البنية الأساسية، والاعتماد على الموقف الكلامي أو المقام"[15].

وعلى مقتضى هذا، تُفهم دلالة الحذف في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[16]، ففي النصب معنى ليس في الرفع، لأنّ التقدير على النصب، إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدرٍ، فهو معنى يوجب العموم عن طريق حذف الفعل[17]، وإيضاح ذلك ما جاء في كتب التفسير.

فالحذف في الآية بحسب المعنى، لذلك فلا يتحمّل المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**﴾[18] النصب، يقول أبو زكريا الفرّاء: "وأمّا قوله (وكل شيء فعلوه في الزّبر"، فلا يكون إلاّ رفعا، لأن المعنى -والله أعلم- كلّ فِعلهم في الزّبر مكتوب، فهو مرفوع بفي، و(فعلوه) صلة لشيء، ولو كانت (في) صلة فعلوه في مثل هذا من الكلام، جاز رفع كلّ ونصبها، كما تقول: وكلّ رجلٍ ضربوه في الدّار، فإنْ أردت ضربوا كلّ رجل في الدار، رَفَعتَ ونَصَبتَ، وإنْ أردت: وكلّ من ضربوه هو في الدّار رفعت"[19].

فالآية بهذا التقدير لا يتحمّل معناها النّصب، لأنّ في حالة النّصب "يكون المعنى (فعلوا كلّ شيء في الزُبر"، والمعنى ليس عليه، وإنّما المعنى أنّ ما فعلوه مثبت في الزّبر، فـ (فعلوه) صفة لشيء، (وفي الزّبر) خبر، والمعنى أنّ الشيء الذي فعلوه هو مثبت في الزّبر، والنّصب لا يؤدي هذا المعنى"[20].

ب-التحويل بالزيادة (الإقحام):

من المؤكّد أنّ المنطوق الظاهر قد يشمل بالفعل "صيغا زائدة من الناحية التركيبية، وإن لم ينطبق عليها وصف الزيادة دائما"[21]، وهو الأمر الذي يبرّر اتساع الخلاف بين النحاة في وقوعها أو عدمه في موارد الاستشهاد المختلفة.

وعلى العموم، فإنّ الزّيادة من التحويل الذي يستعان به إيراداً للمعنى، لذلك أشار النحاة إلى أنّ الزيادة "قد تُضيف فائدة تركيبية كالتوكيد أو قوة الربط أو الفرق أو غير ذلك، وهكذا كان حديثهم عن الواو المقحمة، وعن حروف الجرّ الزائدة، وعن ضمير الفصل وعن زيادة (كان) أو (إن) أو (أنْ) أو (ما) ..."[22].

وقد أشار سيبويه إلى هذه الوسيلة في غير موضع، من ذلك حديثه عن (ما) الزائدة بين حرف الجرّ ومجروره، و في هذا الشّأن يقول: "وتكون توكيداً لغواً، وذلك قولك: متى تأتيني آتك، وقولك: غضبتُ من غير ما جرمٍ، وقال الله تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ**﴾[23]، وهي لغوٌ في أنّها لم تحدث إذ جاءت شيئا لم يكن قبل أنْ تجيء من العمل وهي توكيد للكلام"[24].

فاللّغو في مفهوم سيبويه هو ما ليس له وظيفة نحوية "فلا يظهر له عملٌ إعرابي فيما بعده، بدليل قوله عن (ما) في النّص السابق أنّها لم تحدث إذا جاءت شيئا من العمل بعد مجيئها: فاللّغو إذن هو ما ليس له عمل إعرابي في الكلام"[25].

وعلى هذا، فإنّ الزيادة شكل من أشكال التحويل في التركيب، ويُقصد بها "زيادة في المنطوق على نظيره في البنية العميقة"[26]، ولذلك تفهم الزيادة في سياقات الجملة القرآنية في نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[27].

فزيادة (ما) في أسلوب الشرط إنّما أفاد التأكيد في مثل هذا السياق، يُدعّم هذا ما قاله الطاهر بن عاشور في تفسيره: "وهذه الآية زيدت فيها (ما) عقب (إذا) وزيادتها للتأكيد، أي لتأكيد معنى (إذا) وهو الشرط، لأنّ هذا الخبر لغرابته كان خليقا بالتأكيد، ولأنّ المنافقين ينكرون صدوره منهم ..." [28].

وقد أظهر المفسّرون زيادة الباء في قوله تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[29]، وهو خطاب من الله تعالى لمريم ابنة عمران -عليها السلام- ،فنجد أنّ الباء دخلت على المفعول به (جذع)، ولو كانت هزّي جذع النخلة لكانت صوابا[30].

فزيادة (الباء) في هذا السياق تشير "إلى أنّ مريم و إن باشرت الفعل الذي أمرها الله به وهو الهزّ، فإنّ فعلها لم يقو حقيقة على هزّ الجذع ليسقط الرطب، وذلك لأنها كانت في حالة ضعف، فقال الله لها: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾، بزيادة (الباء)، دلالة على أنها باشرت الفعل امتثالا لأمر الله، وليس الهزّ هو السبب الحقيقي في نزول الرطب، وإنّما كان النزول بأمر آمر وبقدرة قادر، لذلك تعدى الفعل هنا بواسطة (الباء) "[31].

3-2-التّحويل النّوعي:

3-2-1-إعادة التّرتيب:

يعدّ التّرتيب عنصرا مهمّا في النّظام النّحوي، لذلك فمن الأهمّ "أن نعرف التّرتيب في البنية العميقة أوّلا ثمّ نبحث عن القوانين التي تحكم تحوّل هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح، ومن الملاحظ أنّ محل "عناصر" الجملة معرضة لتغيير مكانها، وإن كان ذلك أكثر ما يكون في ما يسميه العرب "فضلة" كالمفاعيل والحال والظروف وغير ذلك"[32].

وهكذا نرى أنّ الخطاب القرآني ذو نسقٍ خاصٍ في هذا النوع من التحويل ،فلا يترتب عن التقديم مجرد الاحتفاظ بالموسيقى الداخلية والتناسب اللفظي فقط، وإنّما يتقدّم العنصر ويتأخر لتحقيق إفادات أخرى، من ذلك قوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى**﴾[33]، فقد حرص الشارع في هذه الآية الكريمة على مخالفة أصل الترتيب، ليس لبيان أهمية المقدّم، وإنّما لتأثير المعنى في النفس، فالتقديم والتأخير لهذه الصياغة التي يعنى بها القرآن الكريم- وهي إحدى وسائل تأثيره في النفس -له ميزة خاصة إذا قُرِنت هذه الصياغة بما هو في الترتيب على نحو: فأوجس موسى في نفسه خيفة[34].

ومن السياقات التي تستمد معناها من التقديم والتأخير ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾[35]، ففي الآية "تعميم الإثم بتقديمه، وتخصيص الإثم بالقلب بتأخير ذكره، وبيان ذلك أنّه لو قال (ومن يكتمها فإن قلبه آثم)، لما أفاد غير إثم القلب ، ولكنّه بتقديم الإثم أفاد إثم جميع الجوارح، ثمّ خصّ القلب بالإثم، لأنّه موضع كتمان الشّهادة، فعبّر عن إثم الجوارح وإثم القلب معا بالتقديم والتأخير"[36].

ومن جليل المعنى الذي لا سبيل إليه إلّا بالتقديم الذي يستقر التركيب عليه بنقل عنصر من رتبته إلى أخرى قوله تعالى في حوار امرأة فرعون مع ربّها: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[37].

فقد اتضحت خصوصية تقديم الظرف (عندك) عن المفعول به (بيتا)، وذلك لإفادة دلالة الاختصاص، اختصاص البيت بالله وحده، وهكذا يجري حكم تقديم شبه الجملة في سياقات ومقامات قرآنية كثيرة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُم آَمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيهِ**

تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ،فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[38]، ففي قوله تعالى: "فعليه توكلوا" تقديم للجار والمجرور على متعلقه، و هو حاصل لإفادة لمسة بيانية يذكرها الرازي في قوله: "إنّما قال (فعليه توكّلوا)، ولم يقل توكّلوا عليه، لأنّ الأوّل يفيد الحصر، كأنّه عليه السلام أمرهم بالتوكّل عليه ونهاهم عن التوكّل على الغير"[39].

بينما في سياقات أخرى، لا يفيد تقديم الجار والمجرور على متعلقه القصر، ففي قوله تعالى:"**والذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِم يُحَافِظُونَ**"[40]، لم يفد تقديم شبه الجملة الحصر أو القصر، ذلك أنّ المحافظة لا تقتصر على الصّلاة، بل هي لعموم حدود الله وفرائضه، مصداقا لقوله تعالى: "**وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ**"[41]، ولكنّه قدّم الصّلاة في هذا السياق لتعظيم أمرها[42]، فمدار الأمر على القارئ ألّا يقف عند حدود البنية السّطحية "بل يتجاوزها إلى استشراف الأوجه البلاغية التي يستدعيها سياق المقدّم في الذكر، فلا شك أنّ له حظا وفضلا على المؤخّر"[43]

2-3 -2-مخالفة التّطابق النّوعي:

تشكّل المخالفة النوعية في التذكير والتأنيث حركة تحويلية بين المعنى المعدول عنه والمعنى المعدول إليه، وتحدث هذه الحركة على منوال خاص يُعرف عند أهل العلم بترك المطابقة، وهي شكل من أشكال الترخص في قرينة النوع للأزواج المتضامة في البنية التركيبية، ولذلك فإنّ ما يتسع له الخطاب القرآني في هذا الباب عظيم الفائدة وجليل المعنى، إذ نجد به "نماذج كثيرة متعددة للترخص في المطابقة، التي لا يؤدي الترخص فيها إلى لبس أو غموض، بل إنّ الترخص فيها له دلالة خاصة في سياقه"[44]

وتمثل حرية التحويل في فصيلة النّوع واحدةً من الفصائل النّحوية التي يقع فيها التحول بناءً على إمكانات نحوية واقتضاءات مقامية في الخطاب القرآني، من ذلك قوله تعالى: "**إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ**"[45]، فقد جاءت هذه الآية على نسق مخالف للأصل، حيث أخبر عن المؤنث (رحمة) بالمذكر (قريب)، وذهب المفسرون إلى القول بأنه ذكّر (قريب) على معنى الرحمة، أو لأنّه صفة لموصوف محذوف، أي: شيء قريب، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول، أو لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقي.[46]

ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى: "**وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَة تَكُونُ قَرِيبًا**"[47] فقد ذكر الزمخشري أنّ تذكير (قريبا) وتأنيث (السّاعة) يرجع إلى الحمل على معنى (اليوم)، أو على حذف مضافٍ، والتقدير: شيئًا قريبًا، أو في زمانٍ قريبٍ[48].

أمّا ما جاء في قوله تعالى: "**بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**"[49]، فقد أُخبر عن المبتدأ (الإنسان) المذكر بالخبر المؤنث (بصيرة) ،وفي ذلك جواز لعدّة وجوه[50]:

- أنّها خبر عن الإنسان و (على نفسه) متعلّق بـ (بصيرة)، والمعنى: بل الإنسان بصيرة على نفسه، وعلى هذا فلأيّ شيء أنّث الخبر؟، قال بعضهم: الهاء فيه للمبالغة، وذهب الأخفش في معانيه[51] إلى جعل الإنسان هو البصيرة كما تقول: أنت حجة على نفسك، وقيل :المراد بالإنسان الجوارح، فكأنّه قال: بل جوارحه بصيرة ؛أي شاهدة، و قيل بأنّ (بصيرة) صفة لمحذوف والتقدير عين بصيرة حسب تقديرات الفرّاء في معانيه[52].

والملاحظ أنّ هذه السياقات الخاصّة لها خصوصياتها التّركيبية، التي لا تفي بها بدائلها، وهي على هذا تتمظهر بأنماط تحويلية كثيرة دون نكير.

خاتمة: تومئ الأنماط التحويلية في سياقات الذكر الحكيم إلى نسق تراكيبه الذي يضفي تجانسا بين المبنى والمعنى، ولذلك فلا تعدّ تلك الأنماط أو الوسائل مجرد قوالب جامدة، توضع فيها المعاني فحسب، بل هي إمكانات لغوية خاصة لها أثرها الدّلالي الذي لا يتحدّد إلّا بائتلاف الشكل مع المضمون، ومن ثمّ فليس يسيرا أن نحتكم إلى الفهم المطلوب في الخطاب القرآني من خلال معرفة فجوات الاتساع ومظاهر التحويل فقط، وإنّما يفتقر ذلك إلى الوعي بقيمة التحويلات الطارئة على الأصول التركيبية للجملة القرآنية على وفق عيار الأصل والفرع، أو ما يعرف بالبنية السطحية والعميقة.

مراجع البحث وإحالاته:

1- حسام أحمد قاسم، الأسس المنهجية للنحو العربي (دراسة في كتب إعراب القرآن)، دار الآفاق العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص: 203.

2- عبد الله أحمد جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص: 241.

3- محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، د.ط، 1999، ص:07.

4- سورة النساء، الآية: 04.

5- الفراء (أبو زكريا بن زياد)، معاني القرآن، حققه وخرج أحاديثه: عماد الدين بن سيد آل الدرويش، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ج1، ص: 198.

6- ينظر: حسام أحمد قاسم، الأسس المنهجية للنحو العربي(دراسة في كتب إعراب القرآن)، ص: 220.

7- نجم عبد الواحد حسين الجيزاني، العدول التركيبي في النحو العربي (دراسة تحليلية في ضوء المنهج التداولي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص: 196.

8- سورة البقرة، الآية: 210.

9- ينظر: عرابي أحمد، جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث (دراسة دلالية حول النّص القرآني)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010، ص: 107.

10- سورة النحل، الآية: 33.

11- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1979، ص: 149.

12- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005، ص: 101.

13- سورة السجدة، الآية: 14.

14- ينظر: أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط4، 2009، ص: 270.

15- محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص: 211.

16- سورة القمر، الآية: 49.

17- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 440.

18- سورة القمر، الآية: 52.

19- الفراء، معاني القرآن، ج2، ص: 95-96.

20- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ج2، ص: 119.

21- علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص: 249.

22- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، ص: 153.

23- سورة النساء، الآية: 155.

24- سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ج4، ص: 221.

25- طه رضوان طه رضوان، الفصل بين المتلازمين في القرآن (دراسة في النّحو والدلالة)، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط1، 2014، ص: 211.

26- حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة)، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2006، ص: 229.

27- سورة التوبة، الآيات: 123-124.

28- الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج11، ص: 63.

29- سورة مريم، الآية: 25.

30- ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج02، ص: 165.

31- طه رضوان طه رضوان، الفصل بين المتلازمين في القرآن (دراسة في النحو والدلالة)، ص: 220.

32- عبده الراجحي، النحو العربي والدّرس الحديث (بحث في المنهج)، ص: 154.

33- سورة طه، الآيات: 67-68.

34- ينظر: أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 91-92.

35- سورة البقرة، الآية: 283.

36- محمد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص: 417.

37- سورة التحريم، الآية: 11.

38- سورة يونس، الآيات: 84-85

39- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1981، ج17، ص 146.

40- سورة المعارج، الآية:34.

41- سورة التوبة، الآية:112.

42- ينظر :فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج3، ص 92.

43- أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص 218.

44- محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2008، ص 324.

45- سورة الأعراف، الآية: 56.

46- ينظر : الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التّنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التّأويل، اعتنى به ورتب حواشيه: محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2012، ج3، ص 109.

47- سورة الأحزاب، الآية: 63.

48- ينظر، الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص:559.

49- سورة القيامة، الآية:14-15.

50- ينظر :السمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ج10، ص 571.

51- ينظر: الأخفش الأوسط، معاني القرآن، قدم له وعلق عليه ووضح جوانبه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 115-116.

52- ينظر:الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص 926-927.

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

1- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005.

2-أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط4، 2009.

3-الأخفش الأوسط، معاني القرآن، قدم له وعلق عليه ووضح جوانبه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

4-حسام أحمد قاسم، الأسس المنهجية للنحو العربي (دراسة في كتب إعراب القرآن)، القاهرة، مصر، دار الآفاق العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

5-حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة)، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2006.

6-الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به ورتب حواشيه: محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2012، ج3 .

7-السمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ج10.

8-سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ج4.

9-الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي)، التحرير و التّنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج11.

10-طه رضوان طه رضوان، الفصل بين المتلازمين في القرآن (دراسة في النّحو والدلالة)، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط1، 2014.

11-عبد الله أحمد جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص: 241.

12-عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1979.

13-عرابي أحمد، جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث (دراسة دلالية حول النّص القرآني)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010.

14-علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

15-فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ج2.

16-فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1981، ج17.

17-الفراء (أبو زكريا بن زياد)معاني القرآن، حققه وخرج أحاديثه: عماد الدين بن سيد آل الدرويش، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ج1.

18-محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1996.

19-محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، د.ط، 1999.

20-محمد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

21-نجم عبد الواحد حسين، العدول التركيبي في النحو العربي (دراسة تحليلية في ضوء المنهج التداولي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2019.